القيم الحاكمة لحركة الوافدين في المجتمعات المضيفة في ضوء الكتاب العزيز

أ.د. خالد فهمي (٨)

مدخل: «كلكم لآدم»!

تمثل دائرة التآخي الإنساني أوسع الدوائر عند فحص دوائر الانتماء الإنساني وقد تجلى ذلك الوعي من الحديث الصحيح الذي رواه جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: «إن ربكم واحد وإن أباكم واحد وكلكم لآدم وآدم من تراب»[٩] وهو آخر تجليات السنة كما عكستها خطبة الوداع في السنة العاشرة للهجرة. وتحليل هذا الحديث يردنا إلى الأساس البيولوجي الواحد الذي يحكم علاقات البشر جميعًا.

وقد تنوع ظهور هذا الوعي في الثقافات المختلفة، فكان في الثقافة الإسلامية عنوانًا على أخوة الإنسانية كما عبر عنها رسول الله ﷺ في حديث عودته من الطائف في حواره مع عداس عندما أخبره أنه ويونس بن متى إخوة وإن كانت أممهم شتى، وتجلى في الثقافة الغربية - في اعترافات كثير من المفكرين – من مثل: (هيوبرت ديلاني) القاضي الأميركي الذي كان يقرر قائلًا: «نحن لا نختار أباءنا»[١٠].

كليات القيم الحاكمة لحركة الوافدين في المجتمعات المضيفة في ضوء القصص القرآني

وفحص مشاهد «الوافدين» على غير مجتمعاتهم أو بلدانهم في الكتاب العزيز يكشف عن حزمة بديعة من القيم الحاكمة المواجهة لضبط حركتهم فيها.

وقد شاءت إرادة الله -تعالى- أن يكتب الهجرة والانتقال على كل أنبياء الله تعالى، وتعايشوا زمنًا بوصفهم «وافدين» على أممٍ أخرى، وجماعاتٍ مغايرة لمن نشئوا وسطهم؛ فقد خرج إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم جميعًا.



(٨) أستاذ بكلية الآداب جامعة المنوفية.

(٩) رواه أحمد في المسند عن أبي نَضْرَة بلفظ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ) برقم ٢٣٤٨٩.

(١٠) هيوبرت ديلاني، ضمن هذا مذهبي، إشراف د. طه حسين، كتاب الهلال، ع ٤٨ رجب ١٣٧٤هـ – مارس ١٩٥٥م (ص٨٢).

وتأمل القيم الحاكمة لحركة هؤلاء الأطهار في مجتمعاتهم الجديدة التي استقبلتهم واحتضنتهم يكشف عما يلي:

أولًا: ظهور قيمة «الأمان» بوصفها القيمة العليا الحاكمة لحياة الوافدين في المجتمعات التي وفدوا عليها أخذًا وعطاءً. ولعلنا نتذكر جليًّا أن هجرتي المسلمين الأوليين إلى الحبشة كانت تحت عنوان دال جدًا هو: هجرتا الأمان.

ومن ثم فإن حركة الوافدين في المجتمعات التي يتنقلون إليها لسبب ما محكومة بمنحهم «الأمان» بمفهومه الواسع الذي يتسع للأمان البيولوجي (البدني) والنفسي والعقلي معًا أخذًا وعطاءً.

ثانيًا: توطين النفس على البذل للنفع العام في المجتمعات المضيفة:

يكشف فحص موقف موسى -عليه السلام- من ابنتي شعيب بعد أن حل «وافد» على مجتمع مدين عن حركة أخلاقية وعمرانية تمسك بقواعد توطين النفس على بذل النفع العمومي، فقد رأى مشهدًا مثيرًا ملخصه:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾

(القصص: ٢٣)

فكان الفعل الإيجابي المباشر

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ (القصص: ٢٤)

ثالثًا: احترام التركيبة الاجتماعية للمجتمع المضيف، وعدم التدخل في شئونه الداخلية والتوافق والتعايش معه.

إن تحليل الموقف السابق الذي تقدم فيه موسى باذلًا للنفع يكشف عن الانصراف بعد بذل النفع إلى شأنه وحاله، فقد قررت الآية الكريمة قائلة:

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾

والحقيقة أن هذا التعبير الذي سبقه معالجة أمر السقيا للمرأتين في سياق من احترام قواعد السقيا الخاص من دون التعقيب السلبي على مجموعة القواعد أو القوانين الاجتماعية الحاكمة لحركة الناس في حياتهم.

رابعًا: تقديم الخبرة العملية للمجتمع المضيف، وهو الأمر الذي نراه واضحًا في قبول موسى عليه السلام للعمل عند شعيب وحفظ ماله وتنميته بموجب ما تحصل لديه من علم وخبرة سابقة.

خامسًا: احترام تقاليد المجتمع المضيف ورموزه وأفكاره: ولعل أصرح الأمثلة الدالة في الكتاب







العزيز والسيرة النبوية على هذا المبدأ الحاكم هو مسلك المهاجرين الوافدين من المسلمين الأوائل على مجتمع الحبشــة، الأمر الــذي تجلى في إعلان الاحترام والتوقير لمريم العذراء عليها الســلام، وعيسى عليه السلام.

سادسًــا: التعاون على خلفية تعظيم المشــترك الإنســاني، ذلك أن رحمة الله أبقت في ثقافات الأمم المختلفة قيمًا مشتركة يمكن أن تكون أساسًا للتعاون والتعايش المشترك.

إن مصــر بتاريخها العريق، وخبرتها الممتدة، وأخلاق شــعبها ورصيدهــا الحضاري المتصل بتطبيقــات الوحي الكريم دائمة الترحيب بالوافدين، تمنحهم الأمان، وتعينهم على تحقيق مطلبهم الحضاري من الوفود عليها.






